

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَنَفْسِي
بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ
"وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، تَتَعَدَّدُ فِي هَذَا الْوُجُودِ
الْأَوَاصِرُ الَّتِي تَرِبُّ بَيْنَ الْكَائِنَاتِ،
وَتَتَنَوَّعُ الْعَلَائِقُ الَّتِي تَجْمَعُ الْخَلَائِقَ، نَوْعٌ
يَجْمَعُ بَيْنَ أَفْرَادٍ مِنْ فَصِيلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَبُوَّةٌ
تَرِبُّ بَيْنَ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ، وَأُخُوَّةٌ تَرِبُّ بَيْنَ
أَخٍ وَأَخِيهِ، وَنَسَبٌ وَمُصَاهَرَةٌ تَرِبُّ بَيْنَ

ذَوِي الأَرْحَامِ والأَقَارِبِ وَأَبْنَاءِ العَشِيرَةِ
وَالقَبِيلَةِ. وَثُمَّ أَوَاصِرُ فِكْرِيَّةٌ وَاعْتِقَادِيَّةٌ،
تَرْبِطُ بَيْنَ البَشَرِ وَإِنْ تَبَاعَدَتِ الأَوْطَانُ
وَاخْتَلَفَتِ اللُّغَاتُ، كَأَصِرَةِ الدِّينِ
وَالعَقِيدَةِ، وَأَوَاصِرِ الأَفْكَارِ وَالمَذَاهِبِ
الَّتِي تَعُجُّ بِهَا الأَرْضُ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً
تَجْمَعُ بَيْنَ جَمِيعِ الخَلَائِقِ فِي الوُجُودِ، قَدْ
لَا يَتَنَبَّهُ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ يَغْفُلُونَ
عَنْهَا مَعَ كَثْرَةِ النِّعَمِ وَتَنَوُّعِهَا، وَيُنْسِيهِم

إِيَّاهَا دَوَامُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَطُولُ
الْعَافِيَةِ، إِنَّهَا آصِرَةٌ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ، إِذْ
كُلُّ الْخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا غِنَى
لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَحَتَّى
الْإِنْسَانُ مَعَ كَوْنِهِ أَعْلَى مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ
مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً، وَمَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ
وَفَضَّلَهُ بِهِ عَنِ غَيْرِهِ، وَمَعَ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ
قُوَّةٍ وَعِزٍّ وَمُلْكٍ، فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَاجِزٌ
لَا يَمْلِكُ أَيَّ قُوَّةٍ ذَاتِيَّةٍ، مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ

الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُ
وَيَسْقِيهِ وَيُرَبِّيهِ، وَيُعَلِّمُهُ وَيُقَوِّيه وَيُعَافِيهِ،
وَيُؤْتِيهِ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يَقْوَى بِهِ عَلَى
عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الزَّوَالِ
وَالْفَنَاءِ، وَيَحْمِيهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَدْوَاءِ
وَالْأَعْدَاءِ، وَكَذَلِكَ هِيَ سَائِرُ
الْمَخْلُوقَاتِ، فَكُلُّهَا عَاجِزَةٌ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى لِتَبْقَى وَلَا تَنْدَثِرَ وَتَتَلَاشَى.

إِنَّ الإِحْسَاسَ بِعَجْزِ جَمِيعِ الخَلْقِ
وَإِفْتِقَارِهِمْ إِلَى اللَّهِ، إِنَّهُ المَبْدَأُ الَّذِي
تَحَقَّقُ بِهِ العُبُودِيَّةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِهِ
يَشْعُرُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ وَإِنْ فَضِّلَ بِالعَقْلِ،
فَإِنَّهُ كَمِثْلِ المَخْلُوقَاتِ عَاجِزٌ عَنِ نَفْعِ
نَفْسِهِ، مُفْتَقِرٌ لِمَدَدِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ،
وَمِنْ ثَمَّ فَلا مُوجِبَ لِلطُّغْيَانِ وَالاِسْتِعْلَاءِ
وَالاِفْتِخَارِ، وَلا مَجَالَ لِلِاسْتِنكَافِ
وَالتَّوَلَّى وَالاِسْتِكْبَارِ، وَكَيْفَ يَطغى مَنْ

يُدْرِكُ كُلَّ الْإِدْرَاكِ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَجَاهٍ
وَسُلْطَانٍ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ،
وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَزُولَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ
وَيَذْهَبَ فِي لَمْحَةِ بَصَرٍ، وَأَنَّ شُعْلَةَ حَيَاتِهِ
قَدْ تَحْمَدُ وَهِيَ فِي غَايَةِ تَوْقُودِهَا، وَتَنْطَفِئُ
وَهِيَ فِي شَدِيدِ تَوْهُّجِهَا، وَحِينَئِذٍ فَلَئِنْ
يُغْنِي عَنْهُ الشُّعُورُ بِالِاسْتِعْلَاءِ شَيْئًا، وَلَنْ
يَجْلِبَ لَهُ الْكِبَرُ نَفْعًا وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ ضُرًّا،
فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَقْرَأَ بِتَأْمُلٍ قَوْلَ رَبِّهِ تَعَالَى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا
ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" فَأَعْتَى الظَّلْمَةَ
الْعُتَاةَ، وَأَقْوَى المَرْدَةَ وَأَطْعَى الطُّغَاةَ، هُمْ
فِي الضَّعْفِ مَعَ الذُّبَابِ الَّذِي نَحْسِبُهُ فِي
غَايَةِ الضَّعْفِ، أَلَا فَمَا أَجْدَرَ المُسْلِمِ
خَاصَّةً وَقَدْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ

وَتَصَدِيقِ رَسُولِهِ، أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ أَعْمَاقِ
قَلْبِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي وَسْطِ هَذَا الْكَوْنِ
الْوَاسِعِ، وَأَنَّهُ مُشْتَرِكٌ مَعَ كُلِّ الْخَلَائِقِ فِي
الْإِفْتِقَارِ إِلَى رَبِّهِ فِي كُلِّ دَفْقَةِ دَمٍ تَجْرِي فِي
عُرُوقِهِ، وَفِي كُلِّ شَرْبَةِ مَاءٍ تَبْلُغُ كَبِدَهُ، أَوْ
لُقْمَةِ طَعَامٍ تُقِيمُ أَوْدَهُ، أَوْ نَسْمَةِ هَوَاءٍ
يَتَنَفَّسُهَا وَتَدْخُلُ فِي جَوْفِهِ وَتَخْرُجُ مِنْهُ
بِإِنْسِيَابٍ، فَإِنَّهُ إِنْ اسْتَشْعَرَ ذَلِكَ ذَاقَ
لَذَّةَ الْعُبُودِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،

فَخَشَعَتْ نَفْسُهُ وَدَمَعَتْ عَيْنُهُ، وَهَجَّ
لِسَانُهُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ، وَبَالَغَ فِي دُعَائِهِ
وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَتَدَلَّلَ فِي مِحْرَابِ
الْخُضُوعِ لِلَّهِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ، فَازْدَادَ بِذَلِكَ
رِفْعَةً وَشَرَفًا " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ
يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ. وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ

شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن
تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ"
"يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" أَجَلُ أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ، مَن عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَأَنَّه
مَهْمَا بَلَغَ فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالْمَالِ فَهُوَ
عَاجِزٌ ضَعِيفٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ صَرَفًا وَلَا

عَدَلًا؛ تَصَاغَرَتْ نَفْسُهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَذَهَبَ
كِبْرِيَاؤُهُ، وَذَلَّتْ جَوَارِحُهُ وَعَظُمَ افْتِقَارُهُ
لِمَوْلَاهُ، قَالَ تَعَالَى: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ.
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ" وَمَنْ كَبُرَتْ لَدَيْهِ نَفْسُهُ، أَوْ رَأَى
فِي دَاخِلِهِ تَعَاظُمًا وَتَكَبُّرًا، فَلْيَتَخَيَّلْ أَنَّهُ
لَمْ يُخْلَقْ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، فَمَاذَا

كَانَ وَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ؟! أَلَمْ تَمْضِ
أَزْمَانٌ طَوِيلَةً قَبْلَ وُجُودِنَا وَالكَوْنُ هُوَ
الكَوْنُ وَالنَّاسُ هُمُ النَّاسُ؟! أَلَسْنَا نَرَى
النَّاسَ يَمُوتُونَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَالدُّنْيَا قَائِمَةٌ لَمْ
يَخْتَلِ نِظَامُهَا بِمَوْتِ أَحَدٍ أَوْ تَتَّبَعَتْ نُجُومُهَا
لِرَحِيلِهِ؟! إِنَّمَا وَاللَّهِ لِحَقِيقَةٍ يُجِبُّ أَنْ
نَتَذَكَّرَهَا لِنَعْرِفَ قَدْرَ أَنْفُسِنَا وَضَعْفَنَا
وَعَجْزَنَا وَقِلَّةَ حِيلَتِنَا؛ فَنَخْضَعُ لِرَبِّنَا
وَنَتَوَاضَعُ لِلْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: "أَوَلَا

يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ
شَيْئًا" وَقَالَ تَعَالَى: "هَلْ أَتَى عَلَى
الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا" أَلَا فَلَنَتَّقِ اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ،
وَلَنَعْلَمْ أَنَّ لَذَّةَ الْحَيَاةِ وَمُتَعَةَ الدُّنْيَا، وَبَرَكَاتَةَ
الْعُمْرِ وَجَمَالَ الْعَيْشِ، وَرَاحَةَ النَّفْسِ
وَطَمَائِنَةَ الْقَلْبِ، إِنَّمَا هِيَ فِي شُعُورِ
الْإِنْسَانِ بِفَقْرِهِ إِلَى خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ، وَدَوَامِ
اِحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ، وَيَقِينِهِ

أَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فَقَرًّا عَامًّا تَامًّا مِنْ كُلِّ
الْوُجُوهِ، فِي إِجَادِهِ ابْتِدَاءً، وَفِي إِمْدَادِهِ
بِكُلِّ مَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُ، وَفِي هِدَايَتِهِ
وَتَوْفِيقِهِ، وَفِي تَعْلِيمِهِ مَا يَنْفَعُهُ، وَفِي تَرْبِيَّتِهِ
وَتَرْكِيئَةِ أَخْلَاقِهِ، وَفِي دَوَامِ أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ،
وَفِي سَلَامَتِهِ وَحِفْظِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَفِي
تَفْرِيجِ كُرْبَاتِهِ وَإِزَالَةِ عُسْرِهِ، وَفِي حُبِّهِ لِرَبِّهِ
وَحُبِّ رَبِّهِ لَهُ، وَفِي عِبَادَتِهِ إِيَّاهُ، وَعِصْمَتِهِ
لَهُ مِنْ إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ وَإِغْوَائِهِ "وَرَبُّكَ

الغنيُّ ذو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ
وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخِرِينَ " وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمْ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ²⁸ "

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ وَلَا
تَعْصُوهُ، وَاشْكُرُوهُ وَاذْكُرُوهُ وَلَا تَكْفُرُوهُ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ الضَّعْفَ وَالْاِفْتِقَارَ جِبِلَّةٌ فِي
أَصْلِ الْإِنْسَانِ، وَحَقِيقَةٌ ذَلِكُمْ الْاِفْتِقَارُ
أَنْ يُجَرَّدَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ حُضُوظِهِ
وَأَهْوَائِهِ، وَأَنْ يُقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى رَبِّهِ
مُتَذَلِّلًا بَيْنَ يَدَيْهِ، مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،
مُعَلِّقًا قَلْبَهُ بِمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ، غَيْرَ مُغْتَرٍّ بِمَا
لَدَيْهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَهْمَا مَلَكَ فَهُوَ

فَقِيرٌ، وَمَهْمَا تَعَاظَمَ فَهُوَ ضَعِيلٌ، وَمَهْمَا
تَطَاوَلَ فَهُوَ هَزِيلٌ، وَمَهْمَا طَالَ عُمُرُهُ
فَهُوَ قَصِيرٌ، وَمَهْمَا قَوِيَتْ حِيلَتُهُ فَهُوَ
كَلِيلٌ، وَمَهْمَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ فَهُوَ قَلِيلٌ،
وَمَنْ لَمْ يَتَشَرَّبْ قَلْبُهُ حَقِيقَةَ فَقْرِهِ وَيَشْعُرَ
بِشِدَّةِ حَاجَتِهِ وَعَظِيمِ فَاقَتِهِ خَالِقِهِ
وَمَوْلَاهُ، فَلَنْ يَعْرِفَ لِلْعُبُودِيَّةِ مَعْنَى، وَلَنْ
يَجِدَ لِلسَّعَادَةِ طَعْمًا، وَهُوَ عَنِ الْبَصِيرَةِ
أَعْمَى. أَلَا فَمَا أَفْقَرْنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي

هِدَايَتِنَا وَصَلَاحِ قُلُوبِنَا، وَاسْتِقَامَةِ
أَحْوَالِنَا وَزَكَاءِ أَعْمَالِنَا، وَفِي صَلَاحِ أَبْنَائِنَا
وَسَلَامَةِ أَبْدَانِنَا، وَفِي دَوَامِ أَرْزَاقِنَا
وَاسْتِيبَابِ أَمْنِنَا فِي أَوْطَانِنَا، وَمَا أَفْقَرْنَا إِلَى
عَفْوِ رَبِّنَا وَرَحْمَتِهِ فِي دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا!
فَلْنَعْرِفْ لِرَبِّنَا حَقَّهُ، وَلْنُقِرَّ بِإِحْسَانِهِ
وَفَضْلِهِ، وَلْنَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ إِلَّا
بِهِ؛ فَمَا اسْتُجِلِبْتَ رَحْمَاتُهُ وَلَا اسْتُمِطِرْتَ
خَيْرَاتُهُ بِمِثْلِ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالْاِنْكِسَارِ بَيْنَ

يَدِيهِ، وَبِقَدْرِ افْتِقَارِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ يَكُونُ
قُرْبُهُمْ مِنْهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ
سَاجِدٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ،
فَرِّغْ قَلْبَكَ لِرَبِّكَ وَتَعَلَّقْ بِخَالِقِكَ، وَنَادِ
مَوْلَاكَ يَسْتَجِبْ لَكَ، إِنْ أَصَابَكَ ضُرٌّ أَوْ
كَرْبٌ فَقُلْ يَا اللَّهُ، وَإِنْ أَصَابَكَ هَمٌّ أَوْ
غَمٌّ فَقُلْ يَا اللَّهُ، وَإِنْ تَعَسَّرَ عَلَيْكَ أَمْرٌ
فَقُلْ يَا اللَّهُ، وَإِنْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْكَ دُيُونٌ

فَقُلْ يَا اللَّهُ، وَإِنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُكَ فَقُلْ يَا
اللَّهُ، وَإِنْ اشْتَدَّتْ أَمْرَاضُكَ فَقُلْ يَا اللَّهُ
"أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ" "إِنَّمَا
أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" وَمَنْ لَكُمْ يَا
عِبَادَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي
الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ"